مقياس النقد المعاصر
النقد الأسلوبي
السنة الثانية - دراسات أدبية ونقدية -

„ الأسلوب أشبه بنفحة الزهر القادمة من الطبيعة، يتم التمتع بها دون أن يلتمس لها بالضرورة معنى "

أحمد درويش

مفهوم الأسلوب

الأسلوب في معاجمنا العربية هو الطريق والمذهب، يقال : أخذنا من أساليب من القول: أي فنون متنوعة، ولعل أبا الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ) أول ناقد عربي تعرض لمفهوم الأسلوب حين تحدث عن أسلوب الشعر عند شعراء العرب وركز على شعر الغزل كنموذج للتطبيق، فالأسلوب هيئة تحصل على التأليفات المعنوية والنظم هيئة تحصل على التأليفات اللفظية.

والأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الضرب من النظم والطريقة فيه من حيث نظم المعاني وترتيبها.

ثم تطور مفهوم الأسلوب حديثا ليدل على منهج من مناهج البحث العلمي يجمع بين الفكر والصور والتعبير، يعتمد على حسن اختيار الألفاظ والعبارات وقوة السبك والتأليف بينها.

تطور مفهوم الأسلوب عند الغرب

- الأسلوب اصطناع لغوي مستحدث يمتد إلى الكلمة اللاتينية (stilus) التي كانت تطلق على " مثقب معدني يستخدم في الكتابة على الألواح المشمعة ثم تطورت دلالتها عبر القرون من دلالة كيفية التنفيذ في القرن 14 م إلى كيفية التعارك أو التصرف في القرن 15م، إلى كيفية التعبير في القرن 16م، ثم كيفية معالجة موضوع ما في نطاق الفنون الجميلة في القرن 17م، ثم استقرت الدلالة الإصطلاحية في حقل الكتابة على كيفية الكتابة الخاصة بكاتب ما.
- ويعد الشاعر الألماني فريديريش نوفاليس (ت 1801) أحد الأوائل الذين استخدموا مصطلح الأسلوبية في مقالاتهم النقدية
- وقد تحدث الناقد الفرنسي جورج بوفون (ت 1788) في خطابه عن الأسلوب سنة 1753 حينما قال :" الأسلوب هو الرجل نفسه" وهذا الخطاب يعد خطابا تأصيليا للأسلوبية.

يعد ظهور كتاب " مبحث في الأسلوبية الفرنسة " للناقد الفرنسي شارل بالي (ت 1947) تلميذ الألسني السويسري دي سوسير الميلاد الحقيقي للأسلوبية سنة 1909، ومنذ هذا التاريخ بدأ الاهتمام بالدراسات الأسلوبية وعلاقاتها بالعلوم الأخرى كالبلاغة والنقد وعلم العلامات ...

Charles Bally

(1947 - 1865)

شارل بالي اللغوي السويسري

تركز الأسلوبية على استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، محاولة التعرف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلح على أساليب معينة ويستخدم صيغا لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النص الأدبي.

وعند رولان بارت (ت 1980) الأسلوب هو : «شيء الكاتب، وروعته وسجنه ... إنه عزلته».

والأسلوبية عند نور الدين السد : الوجه الجمالي للألسنية، تبحث في الخصائص التعبيرية والشعرية التي يتوسلها الخطاب الأدبي، وترتدي طابعا علميا تقريريا في وصفها للوقائع وتصنيفها بشكل موضوعي ومنهجي .

اتجاهات الأسلوبية

يميز بريان جيل في قاموس اللسانيات بين ثلاث أسلوبيات :

-أسلوبية اللغة يمثلها شارل بالي.

-أسلوبية مقارنة وتركز على الترجمة.

-أسلوبية أدبية يمثلها رومان جاكبسون وبيير جيرو...

أما بيير جيرو فيميز بين أسلوبيتين:

-الأسلوبية الوصفية أو التعبيرية وهي أسلوبية الآثار، تدرس علاقة الشكل بالفكر، كما تدرس الأبنية ووظائفها داخل النظام اللغوي، ويمثلها شارل بالي.

-الأسلوبية التكوينية التي تتشبه بالنقد الأدبي، وتدرس التعبير في علاقته بالمتكلم معتدة بظروف الكتابة ونفسية الكاتب، ويمثلها ليو سبيتزر .

وتتعدد اتجاهات الأسلوبية بين النقاد فنجد أسلوبية اللغة، والأسلوبية الأدبية، والأسلوبية الوصفية، والأسلوبية البنيوية، والأسلوبية اللسانية، أسلوبية التعبير وأسلوبية الفرد ...

الأسلوبية وعلم اللغة

اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الدراسات الأسلوبية، وهي الأداة التي ترتكز عليها في تحليل النصوص الإبداعية، ورغم هذه العلاقة الوثيقة بينهما إلا أن الفرق كبير وملموس من حيث مادة الدراسة وهدفها، فعلم اللغة يتناول اللغة العادية المنطوقة بينما تتعدى الأسلوبية هذه اللغة إلى أنماط لغوية فردية متميزة، علم اللغة يدرس "ما يقال" بينما تدرس الأسلوبية " كيفية ما يقال" مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد.

كما تهتم الأسلوبية بالجانب العاطفي من الظاهرة اللغوية، إذ تسعى إلى تتبع الكثافة الشعورية التي تميز النص الأدبي، وكيفية التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة وفعل اللغة في هذا الإحساس .

الأسلوبية والنقد الأدبي

إذا كان النقد يعتمد معياري الصحة والجمال فإن الأسلوبية بمثابة الجسر الذي يربط العلاقات بين علم اللغة والنقد الأدبي، فالأسلوبية تدرس النص عامة وأسلوبه على وجه الخصوص مركزة على التحليل والفهم دون استناد إلى تعليل أو تبرير وهي مهمة متروكة للنقد عندما يربط الأدب بالقيمة، فالأسلوبية ترى في النص خالقا لجماليته من خلال صياغته وفي هذا يختلف نص عن نص لا من خلال الجودة والرداءة ولكن من خلال نظامه الذي تتشابك فيه مستويات الصياغة، فتنتهك المثاليات المألوفة في الأداء أو تتكرر الأنماط أو تتكاثر المنبهات الفنية.

الأسلوبية والبلاغة

يرى الناقد الفرنسي بيير جيرو أن الأسلوبية بلاغة جديدة ذات شكل مضاعف، فهي علم التعبير ونقد الأساليب الفردية. إن خلفيات الأسلوبية راجعة بأصولها إلى البلاغة القديمة، حيث ميز الجرجاني في نظرية النظم بين كلام وآخر، وعلى مستوى النظم تتحقق للمتكلم الحرية المتاحة له داخل قوانين اللغة.

ويرى محمد عبد المطلب أن البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا، ويجب على الباحث الأسلوبي أن يعمقها على ضوء المناهج الحديثة.

فالبلاغة العربية لم تكن تهتم بكل الجوانب التي تتناول النص الأدبي، وإنما اقتصرت على بعض القضايا والمظاهر معتمدة في ذلك على استشهادات معينة، في المقابل تركز الأسلوبية على كل الجوانب وتنظر إلى النص نظرة تكاملية بدءا من الصوت وانتهاء بالدلالة.

محددات الأسلوب

- **الأسلوب اختيار:** الأسلوب اختيار كلمات خاصة أو تراكيب أو دلالات معينة لتصبح سمة بارزة في النص، تصطاد الناقد الأسلوبي الذي بدوره يقع في شراكها وتدخله في مغامرة نقدية متميزة، فالأسلوب اختيار من بين بدائل عديدة .
- **الأسلوب انزياح:** الأسلوب انزياح أو انحراف عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري، وهذا الانحراف إما بالتمرد على القواعد اللغوية السائدة أو بتوظيف أنماط لغوية شاذة ، والانزياح يؤدي إلى صدمة القارئ على نحو يولد الدهشة والاستغراب.
- **الأسلوب إضافة:** الأسلوب ضرب من الإضافة إلى الغلاف المحيط بالجوهر الفكري أو التعبير الموجود من قبل، سواء أكانت هذه الإضافة لعناصر وجدانية، أم عرضا مثيرا أم وحدة بناء فني ...

الجهود العربية في التنظير للنقد الأسلوبي

انتقل النقد الأسلوبي إلى الخطاب النقدي العربي منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي، بفعل جهود مشتركة أسهم فيها كل من : عبد السلام المسدي وصلاح فضل وشكري عياد ومحمد عبد المطلب وسعد مصلوح وعبد الملك مرتاض ونور الدين السد ... ومن بين الدراسات نذكر :

- صلاح فضل في كتاب «علم الاسلوب مبادئه وإجراءاته»، حاول أن يحدد الإطار النظري للأسلوب ويشير إلى مستوياته وإجراءاته، وكتاب «ظواهر أسلوبية في شعر شوقي» والذي ركز فيه على تكرار البنى الموسيقية في أغلب قصائد شوقي مما يجعل منها أسلوبا انتهجه الشاعر.
- عبد السلام المسدي في كتابه «الأسلوبية والأسلوب» والذي ركز فيه على العملية التواصلية للخطاب من المخاطِب إلى المخاطَب والعلاقة بينهما.

- شكري عياد في كتابه «صيغة التفضيل في شعر المتنبي»، حيث قارن بين شعر المتنبى وشعر غيره، وخلُص إلى أن توظيف المتنبي لصيغة التفضيل كان أسلوبا عن تقصد.
- محمد عبد المطلب في كتاب «إحياء الدرس البلاغي العربي على ضوء الأسلوبية المعاصرة»، وكتاب «البلاغة والأسلوبية»، وكتاب «الوقوف على الطلل – قراءة ثانية في شعر امرئ القيس-».
- سعد مصلوح في كتابه «في النص الأدبي – دراسة أسلوبية إحصائية-»، حيث وظف الإحصاء والجبر في دراسته لشعر شوقي مستنتجا أسلوب الكاتب.

مراجع المحاضرة

1- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته.

2- عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب.

3- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية.

4- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق.

5- يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي.

6-مسعود بودوخة، الأسلوبية و البلاغة العربية مفاربة جمالية.